ان يعظموه ويعتقدوا فيه الكمال اللايق بمن قام به هذا الفضل ولهذا
اتبعه بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله
لم انلها من قبل بكسر ففتح اي جهة نفسي ولا بلغتها بقوتي
اذ ليست في طوق البشر فليس لي ان افتخر بها وانما افتخر بمن اعطانيها
واما خبر لا تفضلوا بين الانبيا فمعناه تفضيل مفاخرة ومواضعة
العظم والمباهاة او في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وانما التفضيل بنحو
الخصايص ولا بد من اعتقاده تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
وقيل غير ذلك ومنها انه غفر له ما تقدم من ذنبه اي لو كان كما
قاله ابن عباس اي انه على سبيل الفرض والتقدير لانه كغيره من
الانبيا معصومون حتى من الصغاير قبل النبوة ولو سهوا على
الاصح لكرامتهم على الله خلافا للاكثر في تجويز وقوع الصغاير
منهم سهوا الا الدالة على خسة كتطفيف وينبهون عليها
واحتجوا بظواهر ان قالوا بها افضت بهم الى خرق الاجماع وما لا
يقول به مسلم كما بسطه عياض في الشفا وما تاخر لا يشكل بان
الغفر الستر فكيف يتصور ما لم يقع لان ما لم يقع يفرض
وقوعه مبالغة قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر وفيها وجوه اخر ذكر بعضها في القصد
السادس وبعضها لا يرضي قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام
من خصايصه انه اخبره الله بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا
من الانبيا بمثل ذلك فالخصوصية اخباره بذلك تعظيما له بادخال
السرور عليه ويدل له قولهم في الموقف يوم القيامة حيث
تطلب الشفاعة في فصل القضا من ادم ونوح وابراهيم وموسى
وعيسى فيقول كل منهم نفسي نفسي وقال ابن كثير
في تفسير هذه الاية يعني اية الفتح لم يشاركه فيها غيره
ولذا قال ابن عطية المعنى التشريف بهذا الحكم ولم يكن ذنوب
البتة وقد اخرج ابو يعلى احمد بن علي الموصلي الحافظ الثقة
والطبراني سليمان بن احمد بن ايوب والبيهقي احمد بن الحسين
عن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا على اهل السما وعلى
الانبيا قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله تعالى قال
لاهل السما اي الملايكة ومن يقل منهم اني اله من دونه اي الله
اي غيره فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقد كتب له
براة من الذنوب ان يفعلها واذا امتنع من فعلها فقد سترها عنه وهذا
من الطف الاجوبة قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله تعالى
قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم

وقال

وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس فارسله الى الجن والانس جميعا
تفضيلا على جميع المرسلين ومنها انه اكرم الخلق على الله تعالى بنص
قوله كنتم خير امة اخرجت للناس اذ خيريتها تستلزم خيرية نبيها
وان صفاته اعلا واجل وذاته افضل واكمل ويصرح به قوله فبهداهم
اقتده فهو افضل من كل المرسلين وجميع الملايكة المقربين حتى الروح
الامين اجماعا وغلط الزمخشري في تفضيله عليه بان المعتزلة مجمعون
على استثنائه من الخلاف في التفضيل بين البشر والملك فقد جهل
مذهبه وسياتي الجواب عن قوله في حديث ابن عباس عند مسلم
والبخاري ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونحو ذلك
كحديث الصحيحين لا تفضلوني على الانبيا وفي رواية لا تفضلوا بين
الانبيا واخرى لا تخيروا بين الانبيا وقوله تعالى لا نفرق بين احد
منهم في القصد السادس ان شا الله تعالى باجوبة سبعة منها
قول ابن ابي جمرة انه بالنسبة الى القرب والبعد محمد صلى الله عليه
وسلم وان اسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس
عليه السلام وان نزل به الى قعر البحر هما بالنسبة الى القرب والبعد من
الله على حد واحد وروي هذا الجواب عن مالك الامام ونحوه لامام
الحرمين في قصة شهيرة ومنها اسلام قرينه اي صاحبه الموكل به من
الجن رواه مسلم واحمد من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما منكم الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملايكة قالوا
واياك قال واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير
ومعلوم عصمة الملايكة واياهم فانما المراد الاخبار بمصاحبة الملك
والجني لكل احد فالجني لغوي بخلاف الملك فقول بعض اسلام قرينه
من الملايكة والشياطين لا معنى له بالنسبة للملايكة ولا دلالة في الحديث
عليه اللهم الا ان يريد بالسلام ملكه الانقياد انه انقاد له وفيه ما فيه والبزار
من حديث ابن عباس فضلت على الانبيا بخصلتين كان شيطاني
كافرا فاعانني الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى فحديث ابن
عباس نص في بيانه واما حديث ابن مسعود فروي بفتح الميم وضمها
اي فاسلم انا من فتنته وكيده وصحح الخطابي رواية الرفع ورجح
عياض والنووي الفتح لقوله فلا يامرني الا بخير قال الدميري وهو
المختار والاجماع على عصمته من الشيطان وانما المراد تحذير غيره من
فتنة القرين ووسوسته واغوايه فاعلمنا انه معنا لنحترز منه بحسب
الامكان انتهى وقال غيره اعترضت رواية الضم بانه تعوذ منه بقوله
واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت اي يصرعني ويلعب بي
ويفسد ديني او عقلي عند الموت بنزغاته التي تزل بها الاقدام وتصرع
العقول وقد يستولي على الانسان حينئذ فيضله او يمنعه التوبة

Copyright © King Saud University